النص 5:

يقول جان جاك روسو:

«لن أقف قط عند البحث في أن الحرية إذا كانت أشرف خصائص الإنسان، فإنه لعُدَّ تشويها للطبيعة وانحطاطا إلى مستوى البهائم عبيد الغريزة، وإهانة لباري وجوده، أن يتنازل هذا الإنسان، دون تحفظ، عن أثمن نعم ربه لكي يطيع سيدا ضاريا أحمق وأن يرضخ لارتكاب جميع الجرائم التي ينهاه عنها خالقه. بل أليس مما يثير سخط باريه أن يرى أجمل ما صنعت يداه، لا ملوث الشرف فحسب، بل مهلكا ملاشى؟ ثم أني سأهمل رأي الحجة ((باربيراك)) الذي صرح بوضوح نقلا عن ((لوك)) بأن لا أحد يستطيع أن يبيع حريته إلى حد يخضع معه لسلطة استبدادية تلعب به على هواها ((لأن مغنى هذا، على حد قوله، أنه يبيح حياته التي ليس هو سيدها)). وإنما أسأل فقط: بأي حق استطاع أولئك الذين لم يخشوا أن يُذِلّوا أنفسهم إلى هذا الحد، أن يُخضعوا ذريتهم إلى مثل هذا الشنار، وأن يتنزلوا، بالنيابة عنها، عن نقتني لم يتصل بتلك الطرية عن طريق سخائهم، مقتنى تصبح الحياة بدونه عبئا ثقيلا على جميع الذين هم أهل للحياة؟

يقول ((بوفندورف)) إنه، كما ينقل الإنسان ملكية ما له إلى آخرين بمقتضى عهود وعقود، كذلك يمكنه أن يجرد نفسه من حريته لمصلحة غيره، يلوح لي أن هذا قياس فاس وذلك، أولا، لأن المال الذي أبيعه يصبح، بالنسبة إلي، غريبا عني ويغدو سوء استعماله أمرا لا يعنيني، ولكن مما يهمني ألا يساء استعمال حريتي، ولا يمكنني، دون أن أتحمل ورز الذنب الذي سأرغم على اقترافه أن أعرض نفسي لتكون أداة الجريمة، وزد على ذلك: أن حق الملكية، إذ لم يكن إلا نتيجة عهد، ومما أنشأه الناس، فإن كل إنسان يمكنه أن يتصرف في ما يحوزه كما يطيب له، ولك الأمر ليس كذلك في ما يتعلق بهبات الطبيعة الجوهرية، كمثل الحياة والخرية اللتين يُباحُ لكل إنسان أن يتمتع بهما، واللتين، من المشكوك فيه، على الأقل، أن يكون له الحق بحرمان نفسه إياهما: فخرمان النفس الواحدة منهما إذلال لكيانه، والتخلص من الأخرى ملاشاة لها ما دامت فيه، وأما إذ ليس من خير دنيوي يمكن أن يعوض عن هذه وعن تلك، فإن التنازل عن إحداهما، أيا كام الثمن، هو إهانة للطبيعة والعقل.»

جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة بولس غانم،
المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1972، ص. 103-104.